مجلة بحوث
كليـــــــــــة الآداب

البحث (٢)

شعر السفارات بين المتنبى وابن دراج القسطلى

(المضامين والصياغة الأسلوبية)

إعـــداد

د/ رزق عمرى بركات

أستاذ مساعد الأدب العربى - قسم اللغة العربية

كلية التربية - جامعة دمنهور

السنة ٢٣ العدد (٨٨) يناير ٢٠١٢م

http . // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rjfa2012@ Gmail.com

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

شعر السفارات بين المتنبي وابن دراج القسطلي

(المضامين والصياغة الأسلوبية)

د/ رزق عمري بركات

أستاذ مساعد الأدب العربي-بقسم اللغة العربية

كلية التربية – جامعة دمنهور

ملخص البحث

تناول البحث مقدمة و تمهيد و جزئين اساسيين و خاتمه و قائمة باهم المصادر و المراجع . تحدثت في المقدمة عن اهم الدراسات المقارنه قديما و حديثا في مجال البحث و اهميتها و تطرقت للحديث عما يربط بين الشاعرين في هذا المجال و غيره مما جعلني اذكر اهمية البحث و خطة العمل به. و جعلت عنوانا خاصا لمفهوم السفارات كتمهيد دون ان اسميه تمهيد ذكرت فيه مفهوم السفارات و ما تضمنته رسائل تلك السفارات الرومية و كذا اشرت الي اقسامها في بحثنا. و خصصت الجزء الاول لمضمون شعر السفارات بين المتنبي و ابن دراج تحت عنوان :(اولا) و بدات بعرض الموضوعات التي تطرق اليها المتنبي في رسم صور السفراء و الرسل الذين ارسلهم ملك الروم الي سيف الدوله و ما تحمله رسائلهم من مقال. و صورا اخري يصور فيها المتنبي تقرب ملك الروم من سيف الدوله و تملقه له حتي يتقي باسه كما يرسم صوره ما يلاقيه رسول الروم من ارتياح لدي الامير العربي فيعزيه ذلك بطلب الصلح و الهدنه.

و حين ننتقل الي ابن دراج نجد انفسنا امام معان متقاربه بين الشاعرين الا ابن دراج يشير الي مكانة السفير بين ملوك الكفر . و بذا اتضح ان الرسائل عند الشاعر تحمل معني واحد هو معني الذل و المهانه و التسليم بالهزيمه. في الوقت نفسه الاشاده بكرم المنتصر في الحرب و انسانيته و شهامته العربيهز و جعات ثانيا للسمات الاسلوبيه و تحت هذا العنوان تحدثت عن اللغة و الاسلوب و الصور الفنيه و قارنت بين نصوص الشاعرين . و بملاحظة ما كتب الشاعرين

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

اتضح ان المتنبي كان اشد فخرا او تعظيما لملكه و تحقيرا للعدو و رسوله طو
حين اتسم شعر ابن دراج باللين حتي مع العدو و لعل ذلك يرجع الي علاق
المصاهرة التي ربطت بين ابن ابي عامر و عدوه ملك مشتاله. كذا ذكرنا م
اتسمت به اللغه عن الشاعرين و لقد تبين احكام بناء البيت الشعري عندهما و ا
كان عند المتنبي اقوي احكاما و تمكنا في استخدام الالوان البديعية للوصول الي
القافيه، اما بالنسبة للصور الفنيه فقد اعتمد المتنبي علي التشبيه الواضح في رسم
صوره كعادة الشعراء المشارقة ،اما ابن دراج فاستخدم الاستعارة بنسب اكثر من
التشبيه كعادة الاندلسيين. و في الخاتمه ذكرت اهم النتائج التي توصلت اليها خلال
البحث ، و زيلت البحث بقائمة المصادر و المراجع التي رجعت اليها. هذا و بالله
التوفيق

د. رزق بركات

أستاذ مساعد الأدب العربي

كلية التربية بدمنهور

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

مقدمة

تعد الدراسات التي تقوم على المقارنات من أهم الدراسات الأدبية والنقدية قديمًا وحديثًا. فعلى سبيل المثال نجد قديمًا "الموازنة بين الطائيين"(١) للآمدي و"الوساطة"(٢) للقاضي الجرجاني وغيرها شرقًا. ونجد في الغرب بعض الدراسات التي قام بها المقري في "نفح الطيب"(٣) كالمقارنة التي عقدها بين لامية الرندي وبين رثاء شاعر مجهول لطليطلة. وغير ذلك من الدراسات في مثل هذا المجال شرقًا وغربًا.

وفي الحديث وجدنا مقارنة لأستاذنا د. طاهر مكي في كتابه "دراسات أندلسية"(٤) للقصيدتين المشار إليهما في نفح الطيب. ونذكر أيضًا دراستين للدكتور عبد الله التطاوي هما :

١- "المعارضات الشعرية أنماط وتجارب".(٥)

٢- "التراث والمعارضة عند شوقي".(٦)

تحدث في الأولى عن عدة موضوعات منها (اليائيات واغتراب الذات، التواجد الانفعالي في الحماسات، الموقف الكلي في الغزليات ضمن اليائيات، بائية الأسر الجاهلية. وفي المراثي (رثاء الآخر من أعماق تراث متخصص، المرثية الجماعية، رحابة الموقف الإنساني ... الخ).

كذلك نذكر الدراسات التي قام بها أستاذنا د/ فوزي عيسى في كتابه "اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع".(٧) فضلاً عن الدراسات الأندلسية

---

(١) الموازنة بين الطائيين، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق : هاشم الشاذلي، دار إحياء الكتب العربية.
(٣) نفح الطيب، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.
(٤) دراسات أندلسية، القاهرة، ١٩٨٠م.
(٥) المعارضات الشعرية، دار قباء للطباعة والنشر، د.ت.
(٦) التراث والمعارضة عند شوقي، ط القاهرة، ١٩٩٥م.
(٧) اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع، د. فوزي عيسى، دار المعدي للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

Scanned with CamScanner

المتنوعة في هذا المجال. (٨) ودراسة أخرى للدكتور/ أنور السنوسي "بين الأندلسيين وشوقي في رثاء الحضارة" وهي دراسة لمقارنة السابق باللاحق أو القديم بالحديث.

ولقد آثرت أن يكون بحثي في هذا المجال المتميز بين ابن دراج والمتنبي، المتفقين في الزمن، المختلفين في البيئة، فهذا مشرقي، وذاك أندلسي ومع هذا التباين البيئي فإن هناك عدة خيوط تربطهما من أكثر من جانب منها أن ابن دراج عاصر المنصور ابن أبي عامر ومدحه حين اضطلع بدور عظيم في الدفاع عن الثغور الإسلامية ضد الروم، فسجل له الوقائع التاريخية والغزوات التي دارت بين الجانبين كما وصف انتصارات المنصور على الروم وقد وصف سفرائهم.

وأما المتنبي فقد عاصر الصراع الذي كان بين الحمدانيين والروم وكذا تطرق إلى وصف سفرأء الروم الذين وفدوا إلى سيف الدولة في مذلة ومهانة راجين الهدنة والتهدئة. وتحتشد روميانه وسيفياته بوصف المعارك مع الروم وتصوير هزائمهم ووصف جيوش الروم وقوادهم وجنودهم وبطارقتهم وسباياهم ومدنهم وحصونهم وقلاعهم وغير ذلك".(٩)

وهذا ما دفعني إلى التفكير في دراسة مقارنة بين الشاعرين لما بينهما من تشابه وتوافق في هذا المجال وغيره، مما جعل النقاد يلقبون ابن دراج بمتنبي الغرب. (١٠)

ولقد كان عملي في البحث الوقوف على روميات المتنبي لنخرج بتصور عن شعر سفراء الروم إلى سيف الدولة، ثم الوقوف على نظائر ذلك عند ابن دراج لنخرج من ذلك بأوجه التشابه والاختلاف في المضمون والصياغة.

---

(٨) د. فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الإسكندرية، ١٩٧٩م.
(٩) د. فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع، ص١٤٣.
(١٠) الثعالبي : يتيمة الدهر، ج٢، ص١٠٣، الحميدي : جذوة المقتبس، ص١٠٢.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

وهذه الدراسة تقتضي منا تحديد مفهوم شعر السفارات ثم دراسة المضامين التي استخلصها وكيفية صياغتها عند الشاعرين، وذلك حتى نتمكن من تحديد الفروق الأسلوبية والدلالية بين الشاعرين اللذين اتحد عندهما الموضوع واختلف المكان، وللمتنبي مقولة مشهورة هي "الشعر على قدر البقاع".

فإذا كان اختلاف المكان يحدث فروقًا في رأي المتنبي بين ما ينتجه الشاعر الواحد فما بالنا بشاعرين مختلفين اختلف المكان بينهما، لا شك أن ذلك سيكون له أثره الأوضح وإن اتحد الموضوع كما رأينا فالصراع هنا وهناك بين عرب وروم.

مفهوم السفارات :

نعني بمفهوم السفارات الوفود التي كان يتبادلها الحكام فيما بينهم للتفاوض في أمور سلمية "بديلاً عن الحروب كوسيلة إيجابية"(١١)، وكانت هذه الوفود تتكون من "مجموعة من الأفراد برئاسة أحدهم ممن تتوافر فيه الصفات اللازمة من عراقة النسب ومهارة في التفاوض وحنكة سياسية واطلاع واسع، وفصاحة، وكان السفير ومن معه يتمتع بما يسمى اليوم بالحصانة الدبلوماسية، وهو محط احترام وتقدير منذ وصوله حتى رحيله. كما كان يقدم وثائقه في حفل رسمي يقام لهذا الغرض، مما يدل على تقدم كبير في قواعد اللياقة. (١٢)

وتتضمن هذه الوثائق عدة مطالب أهمها الحصول على الهدنة وافتداء الأسرى والصلح وغير ذلك من الأمور السياسية والاقتصادية.

وتنقسم السفارات في بحثنا إلى قسمين، الأول : سفراء الروم إلى البلاط الحمداني في المشرق، وقد رسم المتنبي صورًا لهذه الوفود وكيفية استقبال سيف الدولة لها كما سنرى.

(١١) د. فوزي عيسى، اتجاهات جديدة، ص ١٥٠.
(١٢) علي الغزيوني، أدب السياسة والحرب في الأندلس، ص ٦٠.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

أما القسم الثاني: فخص سفراء الروم إلى المنصور بن أبي عامر ومن
مغرب ورسم صورة عن مرآة المنصور. وقد مجموعة من الوثائق التاريخ
التي تؤكد وجود هذه الظاهرة وتحتفظ المصادر العربية[٥] بها ومضمونها.

ولقد دارت معظم أشعار السفارات عند الشاعرين حول إبراز صورة الرو
المثقل بالتناقض والكآبة المستقبل عاجز الحيلة لهذه الوفود وسوف يتبين لنا التقرير
التي خص بها الشاعرين في إبراز ما عليه هذه الوفود الرومية من ذل ومهانة وهز
التي كان من المفترض العربي وكأن هذه الصورة امتداد لما لقيه السفراء الر
المنصور والمغرب من هزيمة مرة في تصوير الشاعرين لهذه المعاني، وكأنما كا
النصر دائماً حليف الجانب العربي والهزيمة دائماً مصير الجانب الرومي.

(٥) انظر: جذوة المقتبس، الجزء الأول، ص ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، نفح الطيب، الجزء الثاني،
ص ٣٠٤ وما بعدها.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

أولاً : مضمون شعر السفارات بين المتنبي وابن دراج

أولاً : مضمون شعر السفارات بين المتنبي وابن دراج

وبدأ بعرض الموضوعات التي تطرق إليها المتنبي [illegible] السفراء والرسل الذين أرسلهم ملك الروم إلى سيف الدولة وما اتصفوا به وسالتهم عن معاني "وكل راها المتنبي مناسبة للشعر والزهو"[١٢] إذ يقول : [١٣]

ذروغ لملك الروم هذي الرسائلُ

يردُّ بها عن نفسه ويناضلُ

وأنى اهتدى هذا الرسولُ بأرضه

وما سكنتْ مُذْ سرتَ فيها القساطلُ

ومنْ أيّ ماءٍ كان يسقى جيادهُ

ولم تَصفُ من مزج الدّماء المناهلُ

أتاكَ يكادُ الرّأسُ يجحَدُ عُنقَهُ

وتنقدُّ تحتَ الدّرْعِ منهُ المفاصلُ

يُقَوِّمُ تقويمُ السّماطَينِ مَشْيَهُ

إليكَ إذا ما عوّجتْهُ الأفاكلُ

فقاسمكَ العينينِ منهُ ولحظَهُ

سميُّكَ والخيلُ الذي لا تُزايلُ

وأبصرَ منك الرّزقَ والرزق مُطمعٌ

وأبْصرَ منهُ الموتَ والموتُ هائلُ

---

(١٣) د. فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في الشعر، ج٣، ٤، ص٦٧.

(١٢) ديوان المتنبي، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وَقَبْـــلَ كُمَّـــا قَبَّـــلَ التُّـــرْبَ قَبْلَـــهُ
وَكُـــلُّ كَمِـــيٍّ واقِـــفٌ مُتَـــضَائِلُ

وأسْـــعَدُ مُـــشتاقٍ وَأظْفَـــرُ طَالِـــبٍ
هُمَـــامٌ إلَـــى تقبيـــلِ كُمِّـــكَ واصِـــلُ

مَكَـــانٌ تَمَنَّـــاهُ الـــشِّفاهُ ودونَـــهُ
صُـــدورُ المَـــذاكي والرِّمَـــاحُ الـــذَّوابِلُ

فالمتنبي هنا يشير إلى الرسائل التي حملها الوفد الرومي فيجعلها مجرد دروع يستخدمها ملك الروم ليصد عنه بأس سيف الدولة. فهذه الرسائل ليست إلا امتدادًا للمعركة الحربية التي تستخدم فيها الدروع لصد غائلة الهجوم. فملك الروم لا يجد حيلة إلا هذه الدروع يشغل بها سيف الدولة عن نفسه.

دُروعٌ لِمَلِـــكِ الـــرُّومِ هَـــذي الرَّسَـــائِلُ
يَـــرُدُّ بِهَـــا عَـــنْ نَفْـــسِهِ ويُـــشَاغِلُ

إنها بالفعل دروع ضافية لكنها دروع من مديح سيف الدولة وتصوير لفضائله.

هَـــي الـــزَّرَدُ الـــضَافِي عَلَيْـــهِ ولَفْظُهَـــا
عَلَيْـــكَ ثَنَـــاءٌ ســـابِغٌ وَفَـــضَائِلُ

ويبدي المتنبي عجبه من كيفية اهتداء هذا الرسول إلى سيف الدولة. فإن الحرب التي أثارها هذا الأمير العربي قد أثارت غبارًا لا يستطيع مثل هذا الرسول أن يرى فيها طريقه إلى الملك العربي فهو غبار متواصل يجعل الدنيا ظلامًا.

وَأنَّـــى اهْتَـــدَى هَـــذا الرَّســـولُ بِأرضِـــهِ
وما سَـكَنَتْ مُـذْ سِـرْتَ فيهـا القَـساطِلُ

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

ولم يترك سيف الدولة ماءً في طريق هذا الرسول يسقي بها جياده في رحلته إليه وأين يجد هذا الماء وقد امتزجت المناهل بالدماء التي سالت في هذه الحرب العوان.

وَمِنْ أيِّ مـاءٍ كـان يَـسقِي جيـادَه
ولم تَصفُ مِنْ مَزْجِ الدماءِ المَناهِلُ

أما الرسول نفسه فكان لخوفه يكاد عنقه يتبرأ من رأسه وتكاد مَفاصِلُه تمزق تحت الدرع الذي يلبسه خوفًا وفزعًا من سيف الدولة، أما مَشيُه فقد قوّم اعوجاجه من شدة الرعب السماطان اللذان مشى بينهما.

أتاكَ يَكادُ الرأسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ
وتَنْقَدُّ تَحْتَ الدِّرْعِ مِنْهُ المَفاصِلُ

يُقَوِّمُ تَقْويمُ السِّماطَينِ مَشْيَهُ
إليكَ إذا مَا عَوَّجَتْهُ الأفَاكِلُ

وها هو هذا السفير يلحظ سمي سيف الدولة (أي السيف البتار الذي يحمله والصديق الذي لا يفارقه أبدًا ؟) فتتوزع نفسه بين الحياة والموت أي بين طمع السفير في الرزق والعفو من سيف الدولة، وبين الموت الذي هو منبع رعبه، في بيتين دقيقين يصور فيهما المتنبي ما يتصارع في نفس هذا السفير من أمل وخوف.

فَقَاسَمَكَ العينينِ مِنْهُ ولَحْظَهُ
سَمِيُّكَ والخِلُّ الذي لا تُزايِلُ

وأبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ والرزقَ مُطْمِعٌ
وأبْصَرَ مِنْهُ المَوْتَ والموتُ هائِلُ

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

وها هو هذا السفير الذليلُ يُقَبِّلُ التراب تحتَ قدم سيف الدولة كما يُقَبِّلُ كُمَّهُ. بينما وقف كُلُّ بَطل وقد تَضاءَلَ وتصاغر أمام هيبة هذا الأمير العربي الذي لا يظفر إنسانٌ بتقبيل كُمِّه ولا يصل إلى هذا الشرف إلا كل من كُتِبَتْ له السعادة والظفر إنه مكان تتمناه الشفاه ولكن تقف دونه السيوف والرماح. يقول :

وقَبَّلَ كُمَّهُ قَبَّلَ التُرْبَ قَبْلَهُ
وكُلُّ كَمِيٍّ واقِفٌ مُتَضائِلُ

وأسْعَدُ مُشتاقٍ وأَزْفَرُ طالِبٍ
هُمامٌ إلى تقبيلِ كُمِّكَ واصِلُ

مكانٌ تَمَنّاهُ الشِّفاهُ ودونَهُ
صُدورُ المَذاكي والرِّماحُ الذَّوابِلُ

وفي أبيات أخرى يصور المتنبي هيبة سيف الدولة الذي لم يستطع السفير أن يتبين شخصه مما أحاط به من ضوءٍ ساطعٍ مصدره هذه السيوف الحديدية البارقة المُتألقة وهو لا يدري أيمشي في البساط الذي امتد بينك وبينه، أم يسعى إلى البحر أم أنه يرتقي إلى البدر يقول : (١٥)

فَلَمّا دَنا أخْفَى عَلَيْهِ مَكانَهُ
شُعاعُ الحَدِيدِ البارِقِ المُتَأَلِّقِ

وَأقْبَلَ يَمْشي في البِساطِ فَما دَرَى
إلى البَحْرِ يَسْعَى أمْ إلى البدر يَرتَقي

وها هم الرسل ينامون عند سيف الدولة في أمن وغبطة بينما ملوكهم لا يستطيع النوم أن يجد إلى عينيه سبيلاً رُعْبًا من هذا الأمير العربي المقدام والفارس

(١٥) المتنبي، الديوان، ص٢٢١.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

الذي لا يأمن مفاجأة جيشه للسيدة بقرسلها إلى الطعان وكأنها لسعة عبده وبأسها تنطلق بلا لجام. يقول: (١٠)

تَنَـامُ لَـدَيْكَ الرُّمْـنُ أَمْنًـا وغِبطَـةً

وأجفَـانُ رَبِّ الرُّمْـنِ لَـيْسَ تَنَـامُ

حِـذارًا لِمُغْـرَوْرِي الجيـادِ فُجَـاءَةً

إلـى الطَّعْـنِ مَـالَهُنَّ لِجَـامُ

بينما جياد الروم لا أعنة لها إلا شعرها الذي على أعناقها وهي لا تضرب إلا بسياط الكلام والوعيد الفارغ ذلك أنه لا الخيل الكريمة ولا السيوف المشرعة بنافعة في الحرب إذا لم يَعتلها فرسان لهم شجاعة فرسان سيف الدولة وكرمهم.

تَطَـفُّ فِيـهِ وَالأَعِنَّـةُ شَعْـرُهَا

وتُضْرَبُ فِيـهِ والسِّياطُ عِـلامُ

ومـا تَنْفَـعُ الخَيْـلُ الكِـرامُ ولا القَنَـا

إذا لَـم يَكُـنْ فَـوْقَ الكِـرامِ كِـرامُ

وكذلك يصور المتنبي تقرب ملك الروم من سيف الدولة وتملقه له حتى يتقي بأسه فهو يرى في هذا الأمير العربي ارتياحًا للكرم والندى فيغريه ذلك بطلب الصلح والهدنة، إنه يترك الرماح صاغرًا ذليلاً لمن هو أدرى منه بالحرب وأعظم منه خبرة بفنونها، وها هو يبعث إلى سيف الدولة من أرضه البعيدة، ولكن هذه الأرض البعيدة قريبة جدًا من خيله التي تطوي المسافات البعيدة بسرعة عدوها. وهذا رسول ملك الروم يسير إلى سيف الدولة ولكنه لا يسير إلا على رؤوس مقطعة وهام مفلقة تزيده رعبًا وهلعًا من بأس سيف الدولة. فيقول: (١١)

---

(١٠) الديوان، ص٣٣٢.
(١١) الديوان، ص٢٢١.

Scanned with CamScanner

رأى ملـــكُ الـــروم ارتياحـــك للنـــدى

فقـــامَ مقـــامَ المُجتَـــدي المتَمَلـــلِ

وخلّـــى الرّمـــاحَ الـــسمْهريّةَ صـــاغرًا

لأذرَبَ منـــــه بالطّعـــــانِ وأخـــــوَرِ

وكاتـــبَ مـــنْ أرضٍ بعيـــدٍ مَرامُهـــا

قريـــبٍ علـــى خَيْـــلٍ حوالَيـــكَ سُـــوَّرِ

وقد ســـار فـــي مَـــسْرَاكَ فيهـــا رَسُـــولُهُ

فمـــا سَـــارَ إلاّ فَـــوْقَ هَـــامٍ مُفَلَّـــقِ

وفي قصيدة أخرى تتكون من تسعة أبيات إذا سلمنا بما قاله ابن رشيق[٧] من أن المقطعة تصل إلى ستة أبيات والقصيدة أكثر من ذلك. أنشدها المتنبي في سيف الدولة وقد دخل عليه رسول ملك الروم سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائة، وقد تزاحم الناس للاحتفال بهذه المناسبة حتى أن المتنبي لم يستطع الدخول إلى سيف الدولة ليشاهد المراسم فاضطر إلى الوصف دون أن يرى، ممـــا جعـــل الوصـــف عاجزًا لعدم المعاينة لأن الوصف لا يصدق إلا بعد النظر، لذا جعل نفسه الحاضر الغائب. ولقد تطرق في القصيدة ذاتها إلى وصف فرحة ملك الروم لعفـــو سـيف الدولة عنه. يقول:[١٨]

ظُلـــمٌ لـــذا اليَـــوْمِ وَصْـــفٌ قَبْـــلَ رُؤيتـــهِ

لا يَصْدُقُ الوَصْـــفُ حتـــى يَـــصْدُقُ النَظَـــرُ

تَـــزَاحَمَ الجَـــيْشُ حَتّـــى لـــم تَجِـــدْ ســـبَبًا

إلـــى بـــساطكَ لِـــي سَـــمْعٌ ولا بَـــصَرُ

(*) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الأول، ص٣٥٠.
( ) الديوان، ص١٥٧.

Scanned with CamScanner

فَكُنْـــتُ أشْـــهَدَ مُخْـــتَصٍ وَأغْيَبَـــهُ

مُعايِنَـــا وَعِيـــانِي كُلُّـــهُ خَبَـــرُ

اليَـــوْمَ يَرْفَـــعُ مَلْـــكُ الـــرومِ نـــاظِرَهُ

لأنَّ عَفْـــوَكَ عَنْـــهُ عِنْـــدَه ظَفَـــرُ

قَـــدِ اسْـــتَراحَتْ إلَـــى وَقْـــتٍ رِقَـــابُهُمُ

مِـــنَ الـــسُيوفِ وبـــاقِي القَـــوْمِ يَنْتَظِـــرُ

وَقَـــدْ تُبَـــدِّلُها بـــالقَوْمِ غَيْـــرَهُمُ

لِكَـــيْ تَجِـــمَّ رُءُوسُ الْقَـــومِ والقَـــصَرُ

ويختم القصيدة ببيتين يمدح فيهما سيف الدولة فيشيد بكرمه وجوده :

تَـــشْبِيهُ جَـــودِكَ بالأمطَـــارِ غَادِيَـــةً

جَـــودٌ لكَفَّـــكَ ثَـــانٍ نالَـــهُ المَطَـــرُ

تَكَـــسَّبُ الـــشَّمسُ مِنْـــكَ النّـــورَ طالِعَـــةً

كَمَـــا تَكَـــسَّبَ مِنهـــا نـــورَهُ القَمَـــرُ

ومن الموضوعات التي أشار إليها المتنبي قدرة سيف الدولة وجرأته على اتخاذ القرار. يقول : (١٩)

إلى كَـمْ تَـرُدُّ الرُسْـلَ عَمَّـا أتَـوا لَـهُ

كَـــأنَّهُمُ فيمـــا وَهَبْـــتَ مَـــلامُ

وَإنْ كُنْـــتَ لا تُعطِـــي الـــذِمامَ طَواعَـــةً

فَعَـــوْدُ الأعَـــادي بـــالكريم ذِمَـــامُ

(١٩) الديوان، ص٣٣٣.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وكذا يشير المتنبي إلى مدى ترقب الروم لرسولهم وهو عائد بكرم سيف الدولة فيقول : (٢٠)

وأكبرمنـــه همـــة بعثـــت بـــه
إليـــك العـــدى واســـتنظرته الجحافـــلُ

فأقبـــلَ مـــن أصـــحابه وهـــو مُرْسَـــلٌ
وعَـــادَ إلـــى اصـــحَابه وَهـــو عـــاذلُ

فإذا أتينا لابن دراج وجدنا أنفسنا أمام معانٍ متقاربة بين الشاعرين، فهذا عظيم الشرك كما يسميه ابن دراج وقد قصد المنصور ابن أبي عامر خاضعًا ذليلاً، وألقى بكفيه إليه طالبًا حُكمَه يقول : (٢١)

وهذا عظـيمُ الـشِّرْكِ قَـدْ جَـاءَ خَاضِـعًا
وألقَـــى بِكفَيْـــهِ إلَيْـــكَ مُحَكِّمًـــا

ويشير ابن دراج إلى مكانة هذا السفير فهو سليل ملوك الكفر وواسطة عقدهم. وعلى الرغم من أنه في ذروة عزه ووارث ملك الروم الذي ينتمي إلى أشرف ملوكهم فإنه حين تعرضت نفسه للهلاك أمام سيفك البتار "يعني المنصور ابن أبي عامر الممدوح" وأرادت الأقدار أن تحقن دماءه ودماء جنوده ولم يستطع النجاة من بأسك خاطبه قدره وهو في قبضة الموت مشيرًا عليه بما فهمه تمامًا وهو أن يرجو حنانك وعطفك وإذا به يبلغ أمله بنيل هذا العطف منك فإذا بروحه ترتد إليه وإذا به يرفع رماح الذل ويشهر سيوف الخضوع، وإذا به قد أصبح رهين كفيك وأصبح مصيره في يديك تحكم فيه كيف شئت. يقول : (٢٢)

(٢٠) الديوان، ص ٢٧٠.
(٢١) الديوان ابن دراج، ص ٣٣٦.
(٢٢) الديوان ابن دراج، ص ٣٣٦.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

سَـائِلْ مُلُـوكَ الكُفْـرِ فِـي ذِرْوَةِ السِّنَا

ووارثَ مُلْـكِ الـرُّومِ أقْـدَمَ أقْـدَما

تَوَسَّـطَ أنْـسَابَ القَياصِـرِ خَـاتِمَى

مِـنَ الـصِّيدِ والأمْـلاكِ أقْـرَبَ مُنْتَمَـى

ولَمَّـا تَقَاضَـى غَـرْبُ سَـيْفِكَ نَفْسَهُ

وحَاطَـتْ لَـهُ الأقْـدارُ مُخْـتَقَنَ الـذِّمَا

ولَـمْ يَـسْتَطِعْ نَحْـوَ الحيَـاةِ تَـأَخُّرًا

بِفَـوْتٍ ولا نَحْـوَ النجَـاةِ تَقَـدُّما

تَدارَكَـهُ المقْـدارُ فِـي قَبْـضَةِ الـرَّدَى

وخاطَبَـهُ حَتَّـاً عَلَيْـهِ فَأفْهَمَـا

وبِـشْرَةُ التَّأمِيـلُ مِنْـكَ بِعَطْفَـةٍ

تَلَقَّـى بِهَـا بَـوْحَ الحيَـاةِ تَنَـسُّما

فَأشْـرَعَ أرْمَـاحَ التَّـذَلُّلِ ظَاعِنًـا

وأصْـلَتَ أسْـيافَ الخُـضُوعِ مُـصَمِّمَا

ومَـاهُوَ ذا فِـي راحَتَيْـكَ مُـذَلَّلا

رَهِينًـا لِمَـا أمْـضَيْتَ فِيـهِ مُحَكَّمَـا

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وها هو غرسية(*) بعد أن دارت عليه دائرة الحرب وحلت به الهزيمة المرة من جيش المنصور ها هو يستبدل بجيشه العرمرم جيش الذل والضراعة وقد انتهت آماله ورغائبه إلى المنصور إذ أرسل إليه الرسل ضارعًا وقد أشار عليه وزيره أن يطلب رضاك وأعانه كاتبه بكلمات تحمل كل معاني الذل والهوان، وإذا به أي (غرسية) يبسط نحوك راحتيه راضيًا بأمرك مستكينًا لحكمك منساقا إلى حيث تسوقه رغبتك أنت وهاهو يضع عنقه في حبل الرق والذل تابعًا لك ولأمرك تجذبه كالجواد الخاضع إلى حيث تريد وها أنت تجيبه وتعطيه ذلك الذي لو تأخر عنه ساعة لسارت ركائبه نحو نار الجحيم ولأضحت حصونه سبابًا للمسلمين ولأصبحت بناته وأولاده في قبضتهم يقول : (٢٣)

فلمـــا رأى "غَرْسَـــيةٌ أنَّـــهُ الـــرَّدى
يقينًـــا وأن الله لا شَـــكَّ غالِبُـــهْ

وقـــد حَـــلَّ حـــزبُ الله دونَ شَـــغافِه
وقـــد سَـــلَكتْ فـــي ناظرَيْـــهِ كتائِبُـــهْ

ووافـــاهُ ريـــحُ العـــزمِ يـــسقي رُبُوعَـــهُ
وتنهَـــلُ بـــالموتِ الـــزؤامِ ســـحائبُهْ

وأبْـــصَرَ بحـــر المـــوتِ طَـــمَّ عُبابُـــهُ
وفَـــضَتْ نواحِيـــهِ وجاشَـــتْ غوارِبُـــهْ

وأيقَـــنَ أنَّ اللهَ صـــادِقُ وَعْـــدِهِ
وأنَّ أمَـــانِيَّ الـــضَلال كواذِبُـــهْ

(*) غرسية فرناندیث Gracia Fernaedez حكم قشتالة (٣٦٠ ـ ٣٨٥هـ / ٩٧٠ ـ ٩٩٥م)، هزمه المنصور بن أبي عامر، وجرح وأسر على ضفاف نهر دويرة على مقربة من بلد القصر في مايو ١٩٩٥م، وتوفي متأثرًا بجروحه. انظر : البيان المقرب لابن عذارى، ج٢، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، دولة الإسلام في الأندلس عبد الله عنان، ج٢، ص٤٩٩، في تاريخ المغرب والأندلس، العبادي، ص١٨٩.

(٢٣) ديوان ابن دراج، ص٣٢٢، ٣٢٣.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

وأسْـلَمَهُ ضَـنْكُ المُقـامِ إلـى التـي

ولَهَـا قـام نَاعيـه وضَـجَّتْ نوادبُـه

وقـد رَابَـهُ أنْـصارُهُ وكُمَاتُـهُ

وَأوْحَـشَهُ أشْـياعُهُ وأقَاربُـه

وَأخْلَفَـهُ الـشيطانُ خَـادِعَ وَعْـده

وَأيْقَـنَ أن الله عَنْـكَ مُحَاربُـه

تَلَقَّـاكَ فـي جَـيشٍ مـن الـذُّلِ جَحْفَـلٍ

صَـوارمُهُ آمالُـهُ ورَغائبُـه

وَمِنْ قبـلُ أخفَـى الرُّسْـلَ نَحْـوَكَ ضَـارِعًا

علـى حِـين أنْ عَـزَّتْ لـديكَ مطالبُـه

وَأغْيَـا بـآراءِ التَرَضِـي وزيـرُهُ

وَأنْفَـذَ أَلْفَـاظَ التَـذَلُلِ كَاتِبُـه

فَـأعْطَى بِكِلتَـيْ راحَتَيْـهِ مُبَـادِرًا

لأَمْـرِكَ مُـرْضٍ بالَّـذي أنْـتَ راغِبُـه

وَأمكَـنَ حَبْـلَ الـرقِ مـن حُـرِّ جِيـدِهِ

مُتَـابِعَ عَـزْمٍ حَيـثُ أمْـرُكَ جَاذِبُـه

فَأعْطَيتَـهُ مـا لـو تَـأخَرَ سَـاعَةً

لَزُمَّـتْ إلـى نَـارِ الجَحِـيمِ رِكَابُـه

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وَأضْـحَتْ سـبايا المـسلمينَ حُـصُونُهُ
وقَـدْ نَفِـدَتْ وِلدَانُـهُ وكواعِبُـهُ

فَمَـلاَّكَ عـزُّ المُلْـكِ والنـصرِ رَبُّـهُ
وهَنَّـامَ الـصنعَ المُـتَمِّمِ واهِبُـهُ

وكذا يصور ابن دراج "شانجة"(*) وقد جاء يترأس وفدًا من الرسل حـاملاً كتبًا تشتمل على جملة من الاستعطاف وقد أحاطته المذلة والمهانة وضاقت به السبل هو ووفده فلا يجد سبيلاً إلا الاستسلام وطلب العفو من المنصور فيقول : (٢٤)

وقَـد تَـيَمَّمَ شَـنْجٌ مِنـكَ عَائِـدَةً
تُجِيـرُهُ مِـنْ سـيوفِ الكَـرْبِ والوَهَـلِ

وقَـادَ نَحْـوكَ والتوفيـقُ يَقْدُمُـهُ
جيـشًا مـن الـذُّلِّ مِـلْءَ الـسَهْلِ والجَبَـلِ

مُـستَعْطِفًا لحيـاةٍ جَـلَّ مَطْلَبُهـا
عَـنْ مُبْلِـغ الكُتْـبِ أو مُـستَعْطِفِ الرُّسُـلِ

مُـستَخذيًا لـسيوفِ النـصر حـين أَبَـتْ
مـن ديـن طاعَتِـهِ قـولاً بـلا عَمَـلِ

خَلَّـى الكَتَائِـبَ قَـسْرًا والظبـي وغَـدا
عَـنِ الأَحِبَّـةِ والأشْـيَاعِ فـي شُـغُلِ

(*) شانجة Soncho – سانشو - : هو ابن غرسية فرناندیث، وقد مُنى هو الآخر بهزائم عديدة على أيدي المنصور بن أبي عامر وتزوج المنصور أخته، حكم قشتالة عقب وفاة أبيه (٣٨٥ - ٤٠٧هـ / ٩٩٥ – ١٠١٧م) تطرق إلى سرد هذا التاريخ في : عبد الله عنان في دولة الإسلام، العبادي في تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٩٩.

(٢٤) ديوان ابن دراج، ص٣٥١.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

فـــي شـــيعةٍ مَـــلأتْ ذُلاً قُلُـــوبَهُمُ

نُهُـــوجُ سُـــهْلٍ إليهـــا للقتـــا ذُلُـــلُ

مُستَبْـــشِرينَ بمـــا أُخْيِـــتَ مـــن أَمَـــلٍ

مستـــسلمين لمـــا أمـــضيت مـــن أجَـــلِ

وعلى نمط أمن السفراء عند سيف الدولة ذلك الأمن الـذي أشـار إليـه المتنبي فيما عرضنا له من أبياته يصور ابن دراج ما يلقاه رسـول الـروم عنـد المنصور بن أبي عامر من أمن وسلام بعد معركته مع الروم وبذلك فقـد سـقى الإسلام عسل النصر حينما سقى المشركين مُرَّ الموتِ وعلقمه فيقول : (٢٥)

بـــسطتَ لـــه أمْنُـــا وقَـــدْ بَـــسَطَ القَنَـــا

ثَـــرى أرضِـــه مِـــنْ أهلِهَـــا بِـــكَ أعظُمـــا

ســـقَيتَ بـــه الإســـلامَ أرْيـــاً وطَالَمـــا

سَـــقاهُمْ بكـــأسِ المـــوت صَـــابًا وعَلقمـــا

وهنا نرى المقابلة عند ابن دراج بين أمن الرسل من ناحية والهزيمة المرة التي لحقت بالروم وهي الهزيمة التي تملأ قلوب أصحابها رُعْبًا وإن كان ابن دراج لم يصرح بهذا الرعب مباشرة كما فعل المتنبي حينما قابل بين أمن المُرْسَلْ ورُعْبَ المُرْسِل. إذ المقابلة عنده كانت كما أوضحنا بين أمن السفراء ورعب ملك الـروم في أرضه البعيدة حينما قال كما ذكرنا :

(٢٥) ديوان ابن دراج، ص٣٣٧.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وأجفـــانُ ربِّ الرُمْـــحِ لَـــيسَ تَرَ

إلـــى الطعـــنِ مَـــالَهُنَّ لجـ

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

ثانيًا : السمات الأسلوبية

ثانيًا : السمات الأسلوبية :

لقد صاغ كلا الشاعرين "المتنبي وابن دراج" كثيرًا من القصائد التي تعبر عن عزة كانت لدولة المسلمين وحاكمهم وعلى الرغم من صغر مملكة سيف الدولة مقارنة بمملكة المنصور بن أبي عامر، فإن الأول حظى بأعظم الشعراء العرب وأقواهم لفظًا ومعنىً، ولقد كان بعض شعراء الأندلس ينسجون على منواله ويسيرون على دربه في أحيان كثيرة كما لقب بعضهم بلقبه تشبيهًا وتقريبًا.

وبملاحظة شعر الشاعرين يتضح أن شعر المتنبي كان أشد فخرًا وتعظيمًا لملكه وتحقيرًا للعدو ورسوله على حين اتسم شعر ابن دراج باللين حتى مع العدو، ولعل سبب ذلك يعود إلى علاقة المصاهرة[٢٦] التي ربطت بين ابن أبي عامر وعدوه ملك قشتاله. هذا بالإضافة إلى أن تشخيص اللغة عند الشاعر يبدأ من الكلمة؛ لأن الشاعر "إنما يعد شاعرًا لا لأنه فكر، أو أحس، ولكن لأنه عَبَّر، وهو ليس مبدع أفكار وإنما هو مبدع كلمات، وكل عبقريته تكمن في اختراع الكلمة".[٢٧]

ولقد أكد هذا المعنى د. عبد الله القدامى في كتابه "الخطيئة والتكفير".[٢٨]

ومن خلال اللغة والأساليب والصور الفنية وبراعة الوصول إلى القافية سوف نبرهن على ما توصلنا إليه.

---

(٢٦) الديوان، ص٣٥٥.
(٢٧) جون كوين : بناء لغة الشعر، ترجمة : أحمد درويش، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م.
(٢٨) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٦م، ص٨٧.

Scanned with CamScanner

أولاً : اللغة والأساليب :

لقد اتسمت لغة شعر السفارات عند المتنبي بميزات تؤكد على أنه مبدع كلمات، فهو يختار ما يراه مناسبًا من ألفاظ اللغة، ويشير د/ تمام حسان إلى أن هذا العنصر المختار مؤشرًا أسلوبيًا يشير إلى قصد ما"[٢٩] ومن هذه المختارات التي تشير إلى مقاصد المتنبي الجمل القصيرة والتعبيرات الحارة، فهو حين يصف حال رسول ملك الروم وهو بين يدي سيف الدولة يقول :

أتاكَ يَكادُ الرَّأسُ يَجحَدُ عُنقَهُ
وتَنقَدُّ تَحتَ الدِّرْعِ مِنهُ المَفَاصِلُ

فهو يعبر بلغة كلها حدة عن حال رسولٍ ينكر عقلُه جَسَدَه وقد غاب وعيه (الرأس يجحدُ عُنقَه) وخارت قواه (تنقد – المَفَاصِلُ) فهو في حال يبدو فيها مشوش العقل، منهك الجسد؛ فباستخدام المتنبي الفعلين (يجحد – وتنقد) المضارعين نقل لنا حالتين الأولى نفسية (الجحود) والثانية جسدية (الانقداد) وهو الهدم. وعلى حين اهتم المتنبي أكثر بالرسل وحالهم ووقوفهم بين يدي سيف الدولة اهتم ابن دراج بالملوك أنفسهم الذين تعدد حضورهم لحضرة ابن أبي عامر، ولعل ذلك كان المبرر في لغة التطويل واللين والتي استخدمها ابن دراج. فلننظر إلى استخدامه أسلوب الشرط في قوله يصف اللقاء بين (غرسية) وابن أبي عامر وقد باعد بين فعل الشرط وجوابه يقول :[٣٠]

فلمـــا رأى "غَرْسِـــيَّةُ" أنـــه الـــردَّى
يقينًـــــا وأن الله لا شـــــك غَالبُـــــهُ

---

(٢٩) د/ تمام حسان : البيان في روائع القرآن، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، الجزء الأول، ص٢٠٠٣ الجزء الثاني، ص٢٢٣.

(٣٠) ديوان ابن دراج، ص٣٢٢، ٣٢٣.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

وقــد حَــلَّ حِــزبُ اللهِ دونَ شَــغافِه

وقَــد سَــلَكَتْ فــي ناظِرَيْــه كَتَائِبُــهْ

ووافــاهُ رِيــحُ العــزمِ يَــسقِي رُبُوعَــهُ

وَتَنْهَــلُّ بــالموتِ الــزؤامِ ســحائِبهْ

وأبــصر بَخْــرَ المــوتِ طــمَّ عُبابُــه

وفَاضَــتْ نواحِيــهِ وَجَاشَــتْ غوارِبُــهْ

وأيْقَــنَ أنَّ اللهَ صَــادِقُ وَعْــدِهِ

وأنَّ أمــانِيَّ الــضلالِ كواذِبُــهْ

وأسْــلَمَهُ ضَــنْكُ المُقَــامِ إلــى التــي

لهــا قَــامَ ناعِيــهِ وضَــجَّتْ نَوادِبُــهْ

وقــد رابَــهُ أنْــصارُهُ وكُمَاتُــهُ

وَأوحَــشَهُ أشــياعُهُ وأقارِبُــهْ

وأخْلَفــه الــشيطانُ خَــادِعَ وَعْــده

وأيْقَــنَ أنَّ اللهَ عَنْــكَ مُحارِبُــه

تَلَقَّــاكَ فــي جَــيشٍ مــن الــذُّلِ جَحْفَــلٍ

صَــوَارِمُهُ آمَالُــهُ ورغائبُــهْ

ففعل الشرط هنا في البيت الأول (فلما رأى ...) وجوابه في البيت التاسع (تلقّاك) وهذا التطويل وإن حمل في طياته وصفًا وتفصيلاً إلا أنه أضْعفَ الأسلوبَ وأوهن قوته إذ جاء (جيش الذل) بعد إملالٍ فلم يتحقق في مجيئه المفاجأة والإدهاش من قوة الملك وضعف الخَصْمِ، ولعل رغد العيش في الأندلس أطــال فــي نفــس

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

شعرائه فلم تكن لهم بوارق المتنبي وصواعقه، وهنا يتفوق المتنبي بالإحكام والم
إلى جانب أنه تفنن في إظهار جوانب قوة ممدوحه حتى بحسن خلقه مع سفر
عدوه مستخدمًا فعلاً بسيطًا في معناه، عميقًا في دلالته حين قال :

تنـــام لـــديك الرُسُـــل أمنًـــا وغبطـــةً

وأجفـــان رب الرُســـلِ لـــيس تنـــام

فقد قرن إلى الفعل "تنام" بتجدده واستمراره الأمن والغبطة (حالاً) (المن
وغبطة)، أي وفّر لممدوحه حالاً من القوة بعثت فـي الرسـل الأمـن والسكينة
والاستقرار زادهم في رحابه سرورًا، ثم نفى في الشطر الثاني عن ملكهم وعدو
ممدوحه القدرة على النوم (حذارًا) من فرسان سيف الدولة وبطشهم.

أما ابن دراج فلا نجد عنده هذا العمق الدلالي لأنه اعتاد إطالة الوصف
فهو يدور حول المعنى حتى إذا وقع عليه فَقَدَ بريقه مثل قوله يصف مثول ملك
قشتاله" بين ابن أبي عامر : (٣١)

وهذا عظـيم الـشرك قـد جـاء خاضـعًا

وألقـــى بكفيـــه إليـــك محكَّمـــا

بـــسطت لـــه أمنًـــا وقـــد بَـــسَطَ القنـــا

ثَـــرَى أرضِـــه مِـــن أهلِهَـــا بـــك أعظَمـــا

سَـــقَيتَ بـــهِ الإســـلامَ أرضًـــا وظَلَمـــا

سَـــقاهُمُ بِكَـــأسِ المـــوتِ صَـــابًا وعَلقَمـــا

وهـــا هُـــوَ ذَا فـــي راحَتَيـــك مُـــذَلَّلاً

رهينًـــا لمـــا أمْـــضَيتَ فيـــه مُحكَمـــا

(٣١) ديوان ابن دراج، ص٣٣٨.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

فاستخدام أسماء الإشارة باعدت بيننا وبين المشهد (هذا – ذا) ثم كيف يجمع الملك الهمام المسلم بين الأمن لعدوه والذل ؟ فقد رأينا المتنبي قد جمع لرسل الأعداء الأمن والغبطة. أما ابن دراج فقد جعل لملك قشتاله في ساحة ابن أبي عامر الأمن ولكنه نغص عليه بالذل وهما لا يجتمعان، بل إنه رهين مقيد يحتاج إلى من يحرره وهنا الفرق بين تعقيد ابن دراج وبساطة الصياغة ودقتها عند المتنبي الذي لم يفسد الأمن بل زاده قوة وتمكناً بالغبطة. وحين نقارن بين نصين لهذين الشاعرين يصفان خضوع ملك الأعداء لممدوحه نستطيع أن نرى بشكل جلي ما ميز أسلوبهما من خصائص.

يقول المتنبي : (٣٢)

رأى مَلِكُ الـروم ارتياحـك للنـدى

فقـامَ مَقَـامَ المجتـدِي المُتَمَلِّـقِ

وخلّـى الرمـاحَ الـسَّمْهريَّةَ صَـاغِرًا

لأَدْرَبَ مِنـهُ بالطِّعـانِ وأَخْـدَقِ

وكاتـبَ مِـنْ أَرْضٍ بَعيـدٍ مَرامُهـا

قَريـبٍ علـى خَيْـلٍ حَوالَيـكَ سُـبَّقِ

وقد سَارَ فـي مَسْرَاكَ فيهـا رسُـولُهُ

فمـا سَـارَ إلاَّ فَـوْقَ هـامٍ مُفَلَّـقِ

فلمـا دنـا أضـفى عليـه مكانـه

شُـعَاعُ الحديـد البـارِقِ المتـألِّقِ

(٣٢) ديوان المتنبي، ص٢٢١.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وأقبل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم إلى البدر

وقال ابن دراج : (٣٣)

وقد تيمم شنج منك عائذة

تُجيرُهُ من سيوف الكرب والوهل

وقادَ نحوك والتوفيق يقدمه

جيشًا من الذُلِّ ملء السهل والجبل

مستجديًا لسيوفِ النصرِ حينَ أبَتْ

مِنْ دين طاعته قولاً بلا عمل

خلّى الكتائبَ قسرا والظُبى وَغدا

عَنِ الأحبَةِ والأشياعِ في شُغُل

في شيعةٍ ملأتَ ذُلاً قُلوبَهُمْ

نهوجُ سُبل إليه للقَنَا ذُلُل

فإذا نظرنا للنصين نجد أن المتنبي استخدم الفعل الماضي عشر مرات في حين استخدمه ابن دراج ستًا فكانت الدلالة عند المتنبي أشد ثبوتًا وتأكيدًا.

واستخدم المتنبي الفعل المضارع ثلاث مرات، في حين استخدمه ابن دراج مرتين. وجاء استخدام المتنبي في بيت واحد (الأخير) بينما جاء استخدام ابن دراج في بيتين (الأول والثاني).

(٣٣) ديوان ابن دراج، ص ٣٥١.

Scanned with CamScanner

وكذا استخدم المتنبي اسم الفاعل خمس مرات (مجتدي – متملق – صاغرًا – بارق – متألق) في حين استخدمه ابن دراج ثلاثًا (عائذة – مستعطفًا – مستجديًا).

ولقد بدأت أبيات المتنبي كلها بأفعال صريحة (رأى – خلّى – كاتب – سار – دنا – أقبل). أما أبيات ابن دراج فقد بدأ الفعل الماضي ثلاثة منها (تيمم – قاد – خلّى) واثنين بدأ باسم فاعل (مستعطفًا – مستجديًا) وواحد بجار ومجرور (في شيعة).

ومن هذا يتضح استقلال الأبيات عند المتنبي وإن ربطها العطف بالواو أحيانًا. أما عند ابن دراج فقد ارتبطت الأبيات بعلاقة التعليل حيث جاء البيتان الثالث والرابع مبدوئين بمفعول لأجله فكانا سببًا لما قبلهما، وبدأ البيت الثالث بشبه جملة (في شيعة) في محل نصب حال للفاعل في البيت الخامس (خلى الكتائب) وهذا بالضبط ما قصدنا قبل التطويل عند ابن دراج، والتماسك وقوة النسج عند المتنبي.

وكذلك جاءت أوصاف المتنبي للعدو كلها مشينة (المجتدي – المتملق – صاغرًا ...) وهذا توفيق في وصف المقام، أما ابن دراج فقد خانته بعض الألفاظ حيث أوحت بخلاف المعنى مثل قوله : (قاد نحوك والتوفيق يقدمه) فنسب إلى العدو القيادة ومنحه التوفيق وهذا عكس ما أراده في الشطر الثاني حين قال (جيشًا من الذل ملء السهل والجبل).

وفضلاً عن هذا فقد اتضح بجلاء في نص المتنبي المسافة الفاصلة بين الممدوح والعدو على حين اشتبكت المواقع في نص ابن دراج، وتقاربت المسافة من خلال بعض الألفاظ مثل (تيمم – قاد – التوفيق) وحتى في ذكر اسم العدو صراحة (شنج) تقليل من شأن العداوة وتقريب للمسافة فكلما اشتدت العداوة صار اسم العدو آخر ما يذكر أو يسمع في ساحة عدوة.

كما اتضح لنا أن قصائد الشاعرين في السفارات تكاد تخلو تقريبًا من الأساليب الإنشائية وإنما تسيطر عليها الأساليب الخبرية، فقد كانت غالبًا ما تنصب على الوصف، وتخلص لنقل الصورة وتسجيل الواقعة مثل قول المتنبي حينما صور واقعة اعتمادًا على النقل والتبليغ حين تزاحم الناس فلم يمكن رؤية ملك الروم وقد وقف يطلب العفو في ساحة سيف الدولة الحمداني فقال المتنبي :

Scanned with CamScanner

فكنـــتُ أشـــهدُ مُختـــتمَ وأغربـــه

معاينـــا وعـــالي ذلـــه

ويمتد الاختلاف أو تباين المستوى بين الشاعرين. فنحن مع
أمام بناءٍ مُحكَمٍ للبيت تُستخدم فيه كلُ ألوان البلاغة. فالمتنبي يستخدم الطبا
المقابلة بين التقويم والاعوجاج في مشية رسول الروم إلى سيف الدولة مع

يُقَـــوِّمُ تَقْـــويمُ الـــسَّماطَينِ مَـــشْيَهُ

إليـــكَ إذا مـــا عوَّجَتْـــهُ الأسَ

ونراه في موضع آخر يتصرف في البلاغة ببراعة وإحكام من خ
استخدامه حسن التقسيم في قوله : (٣٥)

وَأبـــصَرَ مِنـــكَ الـــرِّزقَ والـــرِّزقُ مطمـــعٌ

وَأبـــصَرَ مِنـــهُ المَـــوتَ والمـــوتُ هائـ

ومن جمال حسن التقسيم عنده أيضًا قوله مصورًا عظمة سيف الدو
مشيرًا إلى الشمس والبدر وهما اللذان كسفهما نور سيف الدولة : (٣٦)

فلـــيس لـــشمسٍ مُـــذْ أَنَـــرتَ إِنَـــارَةٌ

ولَـــيسَ لِبَـــدرٍ مُـــذْ تَمَمْـــتَ تَمـ

وكذلك يصل المتنبي إلى قافيته وصولاً بارعًا قلما يوفق إليه شاعر ف
مثل قوله : (٣٧)

---

(٣٤) ديوان المتنبي، ص٢٦٨.
(٣٥) السابق، ص٢٦٩.
(٣٦) السابق، ص٣٣١.
(٣٧) السابق، ص٣٣٤.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

وما تنفع الخَيلُ الكِرامُ ولا القنا

إذا لم يَكُن فوقَ الكرام كرامُ

ومن هذا الوصول البارع إلى القافية قوله : (٣٨)

فكُلُّ أُناسٍ يتَّبعونَ إمامَهُمْ

وأنتَ لأهلِ المكْرُماتِ إمامْ

فالمتنبي يستخلص قافيته من نفس البيت وهو بذلك يستخرج استخراجًا بهذه البراعة، فضلاً عن تمكنه من استخدام اللون البديعي المسمى برد العجزْ على الصدر بين (إمامهم في الشطر الأول وإمام في الثاني). وفي المقابل لم نعدم عند ابن دراج القسطلي اجتهاده في بناء بيت الشعر عنده وفي صياغته.

ومن ذلك قوله محاولاً إحداث نوع من حسن التقسيم ومثل ذلك قوله : (٣٩)

ولم يَستَطِعْ نحوَ الحياةِ تَأخُرًا

بفَوْتٍ ولا نحوَ النجاةِ تقدُّما

إنه هنا يستخدم الطباق استخدامًا بارعًا كما رأيناه عند المتنبي. وكذا يحاول ابن دراج الوصول إلى القافية وصولاً بارعًا في مثل قوله : (٤٠)

توسَّطَ أنسابَ القياصرِ فانتمى

من الصيدِ والأملاكِ أقربَ مُنتمى

وكذلك يمكن أن نثبت لابن دراج البراعة التالية في التقديم والتأخير مثل قوله: (٤١)

---

(٣٨) ديوان المتنبي، ص٣٣٣.
(٣٩) ديوان ابن دراج، ص٣٣٦.
(٤٠) السابق.
(٤١) ديوان ابن دراج، ص٣٢٢.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

فلمـــا رأى "غرَسِـــيَّةَ" أنَّـــهُ الـــرُّدى

يقينًـــا وأنَّ الله لا شـــك غالبه

وكذلك في مثل قوله : (٤٢)

مُخَلَّـــدَةٌ فـــي الـــصالحينَ سِـــمَاتُهُ

وبَاقِيـــةٌ فـــي العَـــالَمِين مناقبه

وفضلاً عن استخدامه التقديم والتأخير ببراعة فإنه حاول أن يحدث نوعًا من حسن التقسيم داخل البيت.

وبهذا نستطيع أن نقول أن ابن دراج قد اجتهد غاية الاجتهاد في بناء بيت الشعر عنده وفي صياغته لكنها صياغة وإن أدت نفس المعاني عند المتنبي إلا أنها لا تستطيع أن ترتقي إلى براعة الصياغة عند المتنبي في استخدامه اللغة والألوان البلاغية والوصول البارع إلى القافية والأمثلة التي سبقت للشاعرين تكاد تكون من وجهة نظرنا كافية للتدليل على ذلك.

(٤٢) السابق، ص ٣٢١.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

ثانيًا : الصورة الفنية :

جمعت الصورة الفنية التي استخدمها الشاعران بين صور لساحات القتال وما يحدث فيها وانتصار الممدوح على أعدائه، وصورته في قصره وعاصمة ملكه يستقبل رسل أعدائه بل ويستقبلهم هم أنفسهم وفي كلا الساحتين يكون لـــه الظفـــر والنصر.

فهذا المتنبي يشبه سيف الدولة في جوده وعفوه مع أعدائه بجود المطـــر، ونور الشمس يقول : (٤٣)

تـــشبيه جـــودك بالأمْطَـــارِ غاديـــةً

جُـــودٌ لِكَفِّـــك ثـــانٍ نَالَـــهُ المَطَـــرُ

تَكَـــسَّبُ الـــشَّمْسُ مِنْـــكَ النـــورَ طالِعَـــةً

كمـــا تَكَـــسَّبَ مِنهـــا نُـــورَهُ القَمَـــرُ

وقَدْ جمع الشاعر في هذين لسيف الدولة التشبيه بـــ "المطر" فـــي البيـــت الأول، وبـــ "النور الساطع" في البيت الثاني، والذي يفوق نور الشمس فهو مصدر نورها إذا كانت هي مصدر نور القمر، وفي داخل هذه الصورة القائمة على التشبيه يجدل المتنبي الاستعارة في مثل (.... ناله المطر) ...

... جود لكفك ثانٍ ناله المطر

وكذا في مثل قوله (... تكسب الشمس) ...

تكسب منها نورها القمـــــر

وفي البيت الثاني صارت الشمس محور البيت فهي فاعل جملـــة الـــشطر الأول، ويعود عليها ضميران في الشطر الثاني :

---

(٤٣) ديوان المتنبي، ص١٥٧.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

تكَسَبُ الشمسُ منك النور طالعةً

كما تكسب منها نورها القمر

وعلى الرغم من ذلك فممدوحه أقوى منها نورًا إذ هي تكسب نورها من وكأنه الفاعل الحقيقي ومصدر النور الأصلي في البيت.

وفي موضع آخر يصور المتنبي أيضًا قوة ملك ممدوحه وامتداد نفو فيقول:(٤٤)

أرَى كُلَّ ذي مُلْكٍ إلَيكَ مَصيرُهُ

كأنَّكَ بَحْرٌ والمُلوكُ جَداول

إذا مَطَرَتْ مِنْهُمْ ومِنْكَ سَحائِبُ

فَوابِلُهُمْ طَلٌّ وطَلُّكَ وَابِل

فقد بدأ الشاعر بناء صورته بجملة تمهيدية فيها معنىً مجملاً (كل ذي ملك إليك مصيره) تلاه جملاً تفسيرية (كأنك بَحْرٌ والملوك جداول)، (وابلهم، طل وطلك وابل).

وهذه المبالغة في تصوير قوة ونفوذ الممدوح مبعثها فخر عربي أصيل مثل غرضًا أساسيًا في الشعر العربي وتميز بالمبالغة في كثير من الأحيان، كقول النابغة في مدح الملك النعمان : (٤٥)

بأنك شمس والملوك كواكبُ

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(٤٤) ديوان المتنبي، ص٢٧٠.
(٤٥) النابغة، الديوان، ج٢، ص٧٤، البيت رقم (١٠).

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

ولقد قَدَّمَ المتنبي الطل على الوابل. إذ الطل أقل أثرًا وتأثيرًا وإن كانت المسافة كبيرة بين حجم الطل وقوة الوابل وهذا ما أراده الشاعر بإظهار الفارق بين ممدوحه وأعدائه إذ هو البحر حين هم الجداول.

ولعل الصور الخاطفة أو اللقطات ميزت صور المتنبي مثل قوله :

دُروعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هذي الرَّسائلُ
يَرُدُّ بِها عَنْ نَفْسِهِ ويُشَاغِلُ
هي الزَّرَدُ الضَّافي عَلَيْهِ ولَفْظُها
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وفَضَائِلُ

فقد استخدم الشاعر التشبيه البليغ في رسم صورة الرسائل التي مثلت لملك الروم الدروع والزرد الضافي الذي رد عنه بطش سيف الدولة وانتقامه. وما كانت ألفاظ هذه الرسائل إلا عبارات الثناء والمدح والتوسل بكرم سيف الدولة وجوده.

ويصف المتنبي مشية رسول ملك الروم بين يديه وقد أحاطه جنود سيف الدولة فيقول :

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّماطِينِ مَشْيَهُ
إليكَ إذا ما عَوَّجَتْهُ الأفَاكِلُ

وهنا يعلو صوت الاستعارة في كلا الشطرين وقد أسند الشاعر إلى "تقويم السماطين" و"الأفاكل" التأثير في مشية الرسول وقد تضاد في هذا التأثير فصفوف جند سيف الدولة تعالج ما يفسده الخوف والرعب في مشية هذا الرسول. وجاء استخدام الشاعر لشبه الجملة "إليك" التي وقعت في محل نصب حال تحدد اتجاه المشي ومصيره، كما جاءت "ما" الزائدة في "إذا ما عوجته" تطيل وقت تأثير الخوف فهو المسيطر على نفس الرسول فإذا ظهر أثره سارعت الصفوف بانتظامها فقومت الاعوجاج.

Scanned with CamScanner

وهكذا كل صور المتنبي تجمع بين لحظ وقراءة ما يجول في النفس
شاعر عميق النظرة كبير الخبرة سواء في الشعر أو ساحات القتال.

أما صور ابن دراج فقلما نجد فيها ما وجدنا من لمحات كالبرق
المتنبي ومن أمثلة الصور الخاطفة عند ابن دراج قوله عن لقاء ملك قشتاله
أبي عامر:(٤٦)

تلقاك في جيش من الذل جحفل

صوارمُهُ آمالُهُ ورغائبه

وخيط هذه الصورة (الاستعارة) (جيش من الذل)، (صوارمه آماله)، و
جمع الشاعر بين النقيضين في هذه الصورة (الذل × جحفل)، و(صوارمه × آماله
ورغائبه). وهنا يتضح الفرق بين الشاعرين إذ لم يغب عن نظر المتنبي في صورة
حضور ممدوحه الموازي دائمًا لحضور عدوه، نجد هنا غيابًا لممدوح ابن دراج
بعد ضمير الخطاب في أول ألفاظ البيت (تلقاك) وحتى هذا الفعل لا يناسب ما جاء
بعده من (جيش جحفل – صوارمه) إذ مثلت زيادة المبني في الفعل (تلقّاك) و
أطول، تتغلب على عنصر المفاجأة والمباغتة للعدو.

وحين يصور ابن دراج محاولات ملك قشتاله استرضاء المنصور بالرسل
والرسائل يقول :

ومِنْ قبلِ أحقَى الرُسْلَ نَحْوَكَ ضَارِعًا

على حِين أنْ عَزَّتْ لديكَ مطالِبُهْ

وَأُعْيَا بآراءِ التَرَضِي وزيرُهُ

وَأَنْفَذَ أَلْفَاظَ التَذَلُل كَاتِبُهْ

(٤٦) ديوان ابن دراج، ص٣٢٣.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

وهنا نلاحظ بُعد البون بين هذه الصورة وبين صورة المتنبي التي رسمها للرسل التي كان يرسلها ملك الروم لسيف الدولة وما فيها من تذلل واسترضاء :

هـــي الـــزُّرَدُ الـــضَافِي عَلَيْـــهِ وَلَفْظُهـــا

عَلِيـــكَ ثَنَـــاءٌ ســـابِغٌ وَفَـــضَائِلُ

فقول ابن دراج "أنفذ ألفاظ التذلل كاتبه" خلا من الخيال الـذي اسـتخدمه المتنبي ببراعة ألفظها (عليك ثناء سابغ وفضائل)، وفي صورة أخرى لابـن دراج يصف ضيق الحال على ملك قشتاله حتى اضطر للخضوع والتسليم للمنصور فقال :

وَلَمـــا تقاضـــى غَـــرْبُ سَـــيْفِكَ نَفْـــسَهُ

وحاطَـــتْ لَـــهُ الأقـــدارُ مُحْـــتَقَنَ الـــذِّمَا

ولـــم يَـــستَطِعْ نَحـــوْ الحيـــاةِ تَـــأَخُرًا

بِفَـــوْتٍ ولا نحـــوَ النجـــاةِ تَقَـــدُّما

تداركَـــهُ المقـــدارُ فـــي قبـــضةِ الـــردَى

وخاطبَـــهُ حَتَّـــاً عَلَيْـــهِ فَأَفْهَمَـــا

وبـــشْرَهُ التَّأميـــلُ مِنْـــكَ بِعَطْفَـــةٍ

تَلَقَّـــى بِهَـــا بَـــوْحَ الحيـــاةِ تَنَـــسُّما

فَأَشْـــرَعَ أَرْمَـــاحَ التَّـــذَلُّلِ ظَاعِنًـــا

وَأَصْـــلَتَ أَســـيافَ الخُـــضُوعِ مُـــصَمِّما

وهنا انتشرت الاستعارة في ربوع الأبيات مثل : (غربُ سـيفك نفـسه – حاطت له الأقدار – تداركه المقدار – قبضة الردى خاطبـه – بـشره التأميـل – أشرع أرماح التذلل – أسياف الخضوع).

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

فتكون صورة كاملة (تامة) لملك جاءه الموت من كل مكان فلم يجد ملاذاً في النجاة إلا استسلاماً بعطر نخو إلا من أرمح أو أسيف فلم يجد ملاذاً في النجاة إلا استسلاماً بعطر المنصور وعفوه فسارع مظهراً الخضوع والخضوع راجياً حقن الدماء وشر السلاح وقد كان ما رجاه.

ويقول ابن دراج بعد هذه الأبيات السابقة بثنى عشر بيتاً الطلب فيها على ما سبق من معنى :

بسطتَ لـه أمْنـاً وقـد بَسطَ القَنـا
تـرى أرضَـه مِـن أمنِهـا بِـكَ أعظُـما

سـقيتَ بـه الإسـلامَ أرْيـاً وطاعمـاً
سَـقاهُمْ بكـأسِ المـوت صَـاباً وعَلقَمـا

وهـاهُوَ ذا فـي راحتيـكَ مُسَـلَّلا
رهينـاً لِمَـا أمْـضَيْتَ فيـه مُحَكَّمـا

ونرى انتشار الاستعارة في صور ابن دراج مقارنة بصور المتنبي،

يقابل ذلك وضوح التشبيه عند المتنبي، وندرته عند ابن دراج.

وإذا كانت الاستعارة أكثر عمقاً في الخيال، إلا أن التشبيه أصعب بناءً وصياغة، فألفاظه كلما كانت أرق كان أشد تعبيراً، وكذلك الاستعارة إلا أن قيود الشكل فيها أقل بحذف أحد ركني التشبيه، وكذلك أداته فيبقى ركن واحد يسنده الشاعر لما يريده من معنى يقصده ويرضاه.

وكذلك كانت حياة الأندلسيين بما أتيح لهم من مظاهر الحضارة والعمران أرق حاجة للتشبيه من حياة العرب التي لم ترق يوماً لحياة الأندلس ولا لجمال

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

طبيعتها والتي بهرتهم، وجعلت تعبيراتهم فضفاضة كمروجها وشواطئ انهارها الممتدة بالخضرة ومظاهر النعيم.

فكان التشبيه هو الفن الكثير الاستعمال في كلام العرب[٤٦] وكانت الاستعارة أوفر حظًا عند الأندلسيين على ما مَرَّ بنا.

ولننظر مثلاً إلى ما قاله ابن خفاجة في وصف شجرة لنرى حشدًا لصور الطبيعة القائمة على الاستعارة، إذ يقول :[٤٨]

وَأَراكَـــةٍ ضَـــرَبَتْ سَـــمَاءَ فَوْقَنَـــا
تَنْـــدَى، وأَفْـــلاكُ الكـــؤُوسِ تُـــدارُ
حَفَّـــتْ بِـــدَوْحَتِهَا مَجَـــرَّةُ جَـــدْوَلٍ
نَثَـــرَتْ عَلَيْـــهِ نُجُومَهَـــا الأَزْهَـــارُ
فِـــي رَوْضَـــةٍ جَـــنَحَ الـــدُجَى ظَـــلاًّ بِهـــا
وتَجَـــسَّمَتْ نَـــوْرًا بِهَـــا الأَنْـــوَارُ
غَنَّـــاءَ يَنْـــشُرُ وَشْـــيَهُ البَـــزَّاز لَـــي
فِيهَـــا ويَفْتِـــقُ مِـــسْكَهُ العَطَّـــارُ
نَـــامَ الْغُبَـــارُ بِهَـــا وقَـــدْ نَـــضَحَ النَّـــدَى
وَجْـــهَ الثَّـــرَى واسْـــتَيْقَظَ النُـــوَّارُ
والْمَـــاءُ فِـــي حَلْـــيِ الحَبَـــابِ مُقَلَّـــدٌ
زَرَّتْ عَلَيْـــهِ جُيُوبَهَـــا الأَشْـــجَارُ

---

(٤٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ج٢، ص١٧٢.
(٤٨) ديوان ابن خفاجة، ص٣٥١.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

فهو هنا يرسم لوحة طبيعية ترى فيها مناظر طبيعيـــة مختلفـــة متلاءمـــة الألوان وتمتزج فيها الطبيعية بجو الخمر والطرب، ومظاهر الترف، كمـــا أنهـــا تشتمل على وصف الأراكة ووصف المجلس ووصف الروضة التي تؤلف شـــعور الأراك إحدى عناصرها، ولقد استخدم ابن خفاجة الصور الاستعارية القائمة علـــى التشخيص في كثير من جزئيات هذه اللوحة مثل (نثرت نجومها الأزهـــار – لـــم الغبار – استيقظ النوار – زرت عليه جيوبها الأشجار ... الخ).

ولم يقتصر اتكاء شعراء الأندلس على الاســـتعارة عنـــد رســـم الصـــور الطبيعية فحسب بل امتد حتى في صور المديح فها هو الرصافي يستخدم الاستعارة في صنع صوره المدحية حين يقول : (٤٩)

وتكَـــادُ تَخمِيـــهِ نَفاسَـــةُ قَـــدْره

واليـــأسُ مِـــن إدراكـــه أنْ يُخْـــسَدا

ومنه أيضًا قول ابن سهل مستخدمًا الاستعارة في رسم صوره المدحية : (٥٠)

أكْرَمْـــتَ شَـــهْرَك بالـــصِّيامِ فَنبـــضَتْ

فِيـــهِ جَحَائِفـــكَ اللَّيـــالي الـــسُّودُ

ولقد أكد نجم الدين بن الأثير على أن الاستعارة أبلغ من التشبيه في قولـــه "والفرق بين التشبيه وبين الاستعارة ثبوت الأداة في باب التشبيه أو تقديرها فيه مع طي ذكر المشبه به وسقوطها في باب الاستعارة مع وجوب ذكر المستعار ليكـــون أبلغ من التشبيه".(٥١)

---

(٤٩) ديوان الرصافي، ص٦٣.
(٥٠) ديوان ابن سهل، ص٩٥.
(٥١) نجم الدين ابن الأثير، جوهر الكنز، تحقيق : د. زغلول سلام، ص٦٠.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

الخاتمـــــــة

ونستطيع أن نجمل نتائج هذه الدراسة المقتضبة فيما يلي :

١- أنه رغم التباين البيئي بين المتنبي وابن درّاج واتفاقهما زمنيًا فإن هنـــاك عدة خيوط تربطهما من أكثر من جانب، من أهمها :

أ- أن ابن درّاج عاصر المنصور ابن أبي عامر ومدحه وصور معاركه ضد الروم وسجل وقائعه التاريخية وغزواته وتغنى بانتصاراته، كما رسم صورًا رائعة لوفود الروم وسفرائهم الذين وفدوا لاستجداء الهدنة وطلب الصلح.

ب- وكذا عاصر المتنبي الصراع الذي كان بين سيف الدولـــة الحمـــداني وصور بكل دقة معاركه معهم حتى استحالت قصائده في مديح سيف الدولة إلى نوع من الرصد الدقيق لكـــل مـــا يجـــري مـــن معـــارك وانتصارات ووصف هزائمهم، وكذا تطرق إلى وصف سفراء الروم الذين وفدوا إلى سيف الدولة في مذلة ومهانة راجين العفو والهدنة.

٢- أن المقارنة بين الشاعرين في هذا المجال كانت ممكنة لما بينهمـــا مـــن تشابه وتوافق في هذا المجال مما جعل النقاد يلقبون ابـــن دراج بمتنبـــي الغرب.

٣- أن السفارات أو الوفود التي كان يرسلها حكام الـــروم لكـــلا العـــاهلين العربيين كانت بديلاً عن الحرب ووســـيلة إيجابيـــة اســـتخدمها الـــروم لاستجداء الصلح مع العرب المسلمين شرقًا وغربًا.

٤- أنه لابد من توافر عدة صفات وسمات تميز سفير الروم المبعوث علـــى رأس أفراد التفاوض منها عراقة نسبه - حنكته السياسية - فـــصاحته - ثقافته الواسعة.

Scanned with CamScanner

٥- لقد دارت معظم معاني شعر السفارات عند الشاعرين حول إيراد م
الوفد المقبل للتفاوض وكيفية استقبال أمد الدولة لهذه الوفود.

٦- أن ملوك الروم كانوا يشاغلون العاهلين العربيين بهذه الرسائل حتـ
يتخذونها دروعًا تقيهم البأس العربي كي يستعيدوا قوتهم.

٧- أن هذه الرسائل عند الشاعرين تحمل معانٍ متقاربة جـدًا هـي : الـذ
والمهانة والتسليم بالهزيمة. وفي الوقت ذاته تشيد بكرم المنتـصر فـ
الحرب وتبرز الشهامة العربية.

٨- جاء شعر المتنبي أشد فخرًا وتعظيمًا لملكه وتحقيرًا للعدو ورسوله، على
حين اتسم شعر ابن دراج باللين حتى مع العدو، ولعل سبب ذلك يرجـ
إلى علاقة المصاهرة التي ربطت بين ابن أبي عامر وعدوه ملك قشتاله
"شانجة".

٩- اتسمت لغة شعر السفارات عند المتنبي بميزات أهمها : الجمل القصيرة،
والتعبيرات الحارة، على خين جاءت لغة ابن دراج معتمدة علـى لغـة
التطويل التي أوهنت قوة أسلوبه أمام قوة الأسلوب عند المتنبي.

١٠- جاء العمق الدلالي عند المتنبي أقوى منه عند ابن دراج.

١١- استقلال الأبيات عند المتنبي - وإن ربطها في بعض الأحيان بالعطف -
أعطت للبيت القوة والدقة.

١٢- جاءت أوصاف المتنبي للعدو كلها تتوافق ومقتضى الحال، حيث اتـضح
بجلاء بعد الفاصلة بين الممدوح والعدو والمسافة، أما ابن دراج فجاءت
ألفاظه في بعض الأحيان مخالفة للمعنى حيث نسب إلـى العـدو ألفـاظ
القيادة ومنحه التوفيق وقرّب المسافة بين الممدوح والعدو.

Scanned with CamScanner
Scanned with CamScanner

١٣- كادت أن تخلو قصائد الشاعرين من الأساليب الإنشائية إلا في القليل، في حين سيطرت الأساليب الخبرية، فقد كانت غالبًا ما تنصب مع الوصف وتخلص لنقل الصورة وتسجيل الوقائع.

١٤- ظهر جمال التقسيم وحسنه عند الشاعرين، وكذا جاء الوصول إلى القافية وصولاً قويًا عند المتنبي وإن كنا لا نعدمه أيضًا عند ابن دراج.

١٥- إحكام بناء البيت الشعري عند الشاعرين وإن كان أقوى عند المتنبي، وكذا التمكن من استخدام الألوان البديعية.

١٦- أما بالنسبة للصورة الفنية فقد اعتمد المتنبي على التشبيه الواضح في رسم صوره على عادة الشعراء المشارقة. أما ابن دراج فاستخدم الاستعارة بنسب أكثر من التشبيه كعادة الأندلسيين.

Scanned with CamScanner

المصادر والمراجع

- أنور المنوسي :

رثاء الحضارة بين الأندلسيين وشوقي، بحث منشور بمجلة الآداب تصدرها كلية الآداب بدمنهور، أغسطس ٢٠٠٨م.

- الآمدي :

الموازنة بين الطائيين، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

- الجرجاني :

القاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق هاشم الشاذلي، دار إحياء الكتب العربية، ب.ت.

- المقري :

نفح الطيب، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.

- الطاهر مكي :

دراسات أندلسية، القاهرة، ١٩٨٠م.

- عبد الله التطاوي :

التراث والمعارضة عند شوقي، القاهرة، ١٩٩٥م.

المعارضات الشعر، دار قباء للطباعة والنشر.

- فوزي عيسى :

اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع، دار العبادي للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الإسكندرية، ١٩١٩م.

- علي الغزيوي :

أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة المعارف، الرباط.

- المرّاكشي :

ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان، وإليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج٣، ١٩٨٣م.

- المتنبي :

الديوان، تحقيق : د/ عبد المنعم خفاجي، سعيد جودة السحار، د/ عبد العزيز شرف، مكتبة مصر.

- ابن رشيق :

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق : أ. محمد قَرقَزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- ابن درّاج القسطلي :

الديوان، تحقيق : د/ محمود علي مكي، ط٢، ١٣٨٩م، المكتب الإسلامي.

- جون كوين :

بناء لغة الشعر : ترجمة أحمد درويش، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م.

- النابغة :

الديوان، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

- تمام حسان :

البيان في روائع القرآن، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، الأول والثاني.

- أحمد مطلوب :

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٦م.

- ابن خفاجة :

الديوان، تحقيق : د/ سيد غازي، الطبعة الثانية، منشأة المعارف الإسكندرية.

- ابن سهل :

الديوان، تقديم : إحسان عباس، دار صادر، ١٩٨٠م.

- ابن الأثير :

نجم الدين، جوهر الكنز، تحقيق : د. زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٠م.

- الثعالبي :

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١٩٧٩م.

- عبد الله القدامى :

الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة لنموذج معاصر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٦م.

- ابن عذارى :

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ج.س. كـــولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

- محمد عبد الله عنان :

دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، مؤسسة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٠م.

- أحمد مختار العبادي :

في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م.

- الحميدي :

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٥٢م.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

Almotanaby and Ebn Derag Mediation poetry – the content and stylistic paraphrasing

Abstract:

This paper contained an introduction, two main parts, conclusion and at the end references. In the introduction, I discussed the old and modern important studies in the field, besides the relations that links both of the two mentioned poets in this and other fields. Consequently I stated the importance of the research and the action plan. Warming up I discussed briefly at the beginning the concept of mediation poetry and its content. the first main part entitled (first) is devoted to the content of such type of poetry written by Almutanaby and Ebn Derag starting with Almotanaby's topics describing the mediated poet (messenger) send by the Roman king to Seif Aldawla (leader) and its meaning. Other parts described how the Roman king is trying to flatter Seif Aldawla to avoid his tyranny (anger). In addition describing how the Arab leader (Alameer) is feeling comfort about the Romanian messenger which led him to ask for ceasefire and getting back their previous good relations. Moving to Ebn Derag writings, we find similarity between them though he refers to the position of the messenger among leaders. This shows that both messages contain the same meaning which is insulting and surrender but at the same time include the Arabic generosity and dignity of the winner.

The second main part entitled second is devoted to the stylistic features where I compared between the language style and figurative words of both poets. The discussion revealed that Almutanaby was more proud of his king and insulted more his enemy and his messenger.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner